حرائر البلاط العباسي في كتابات الجاحظ

د. يوسف غيوه.

أستاذ محاضر بجامعة قسنطينة.

المرأة العربية في الإنتاج الأدبي القديم:

شكلت المرأة العربية الحرة أحد المحاور الرئيسية في الإنتاج الأدبي القديم عند العرب، وبخاصة في إبداعات الشعراء القدامى (جاهليون، وإسلاميون) الذين خصوها بافتتاحيات قصائدهم، وجاوز بها بعضهم ذلك المقدار فجعلها موضوعا رئيسيا لقصيدة من قصائده، سواء كان ذلك من خلال سرد مغامرته معها–كما هو في معلقة امرئ القيس–[1] أم من خلال تبسيط في ذكر مفاتنها والتغني بجمالها، وما تركه حبها من كلوم وخدود في فوائد الشاعر –كما في مطبوعة عنترة–[2]، وظلت المرأة في الشعر العربي على هذه الحال إلى أن استقل موضوع الغزل على أيدي الشعراء الغزليين في القرن الأول الهجري، من أمثال عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عمرو وكثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة، المعروف بكثير عزة، وغيرهم ممن أخذ موضوع المرأة القسط الأكبر من دواوينهم. غير أن اهتمامات هؤلاء الشعراء بالمرأة ظلت محصورة في دائرة ضيقة لا تتسع إلا لنموذج المرأة الحبيبة أو العشيقة، أو بمعنى آخر ظل الحديث عن المرأة في إبداعات أولئك الشعراء حبيس رؤية عاجزة عن كسر الدائرة العاطفية في حياة الإنسان أما فن النثر عند القدامى فإن حظ المرأة من اهتمامات أعلامه ظل قليلا على الرغم من تنوع الموضوعات النثرية من الخطابة إلى الحكم والأمثال مرورا بالمحاورات والمناظرات والرسائل.

ولم يتعد حظ المرأة الحرة من هذا الفن عبارات قليلة، وردت ضمن محاورات بين شخصيات عربية قديمة معروفة، أو وصايا يزود بها الآباء والأمهات بناتهم في مناسبات معينة كالزواج والسفر، أو غير ذلك مما يحتاج معه إلى التزويد بالنصيحة وعصارات التجربة[3].

وكان من الطبيعي –والحال هذه– أن تبقى تلك النصوص قاصرة عن الإحاطة بعالم المرأة بشكل كامل، على الرغم مما تضمنته من صور للجوانب الإنسانية –بما في ذلك الجانب العاطفي–.

وانطلاقا مما تقدم نستطيع أن نزعم أن أول كاتب عربي تناول عالم المرأة بنظرة شمولية هو شيخ الكتاب العرب، الأديب والمفكر أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ. فهو الذي

خص المرأة بفيض من الأفكار والآراء والملاحظات من شأنها –بعد الفحص والتبويب والترتيب– أن تشكل دراسة متكاملة عن المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، وتقدم صورا معبرة عن النماذج المختلفة التي يوفرها عالم المرأة في حضارتها العربية الإسلامية.

والمادة التي بإمكان الباحث استخراجها من كتابات الجاحظ في هذا المجال غزيرة متنوعة، ذلك أنها تتناول الفئات الاجتماعية المختلفة عبر أزمنة وعصور تراكم خلالها ذلك الموروث الحضاري العظيم، منها فئة الحرائر قبل عصر الكاتب وبعده ثم أمهات الأولاد والجواري والقيان.

ويهمنا في بحثنا هذا أن نلقي الضوء على ما قدمه عن الحرائر البلاط في عصره. وقد اخترنا نموذجا نعتقد أنه يمثل أصدق تمثيل تلك الفئة من نساء المجتمع العباسي اللائى لعبن أدوارا خطيرة في صنع القرار وسير الأحداث في مجالات الحياة المختلفة: الاجتماعي، السياسي، الثقافي.

وهذا النموذج تمثله السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن أبي المنصور، زوج هارون الرشيد وأم ابنه والخليفة من بعده محمد الأمين.

لكن قبل أن نعرض لهذه الشخصية النسائية الفذة من الأسرة الهاشمية نحاول أن نلقي الضوء عن بيئة المرأة العباسية بشكل عام. ونسجل بادئ ذي بدء ملاحظة تخص المساحة التي تحتلها حرائر عصر الجاحظ في كتابه.

الحرائر العباسيات في كتابات الجاحظ.

إن المساحة التي احتلتها الحرائر العباسيات في كتابات الجاحظ من الضآلة بمكان، بحيث لا تكاد تمثل شيئا يذكر، إذا ما قورنت بما احتلته العربية القديمة –في الجاهلية والإسلام– والجارية في عصره فتنصيب الحرة العباسية من كتابات أبى عثمان لا يتعدى بعض القصص وردت في كتابه "البخلاء" نقل من خلالها صورا النماذج من نساء عصره المهيرات أو بعض الإشارات المقتضية إلى عدد من سيدات المجتمع العباسي داخل البلاط وخارجه، وردت عرضا في كتبه الأخرى تقول الدكتورة وديعة طه النجم في هذا الصدد:«لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة: وهي أن المرأة التي يصورها الجاحظ في مؤلفاته، التي يتحدث عنها في المجتمع العباسي المعاصر له ليست هي المرأة العربية الحرة، بل هي المرأة الجارية التي برزت في المجتمع ولعبت دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية والأدب والفن والغناء والملذات صحيح أن الجاحظ يذكر نساء لعبن دورهن في الحياة

السياسية كليلى الناعظية التي كانت إحدى شخصيات الشيعة الغالية، لكن موضوع هذه المرأة لا يمكن أن يقال عنه إنه كان مدار البحث عند الجاحظ ولم أيا من مؤلفاته ولم تكن الإشارة إليها في مؤلفاته إلا عارضة)) [4].

فهذا النص من دراسة الدكتورة وديعة النجم يحمل في طياته أكثر من دلالة لعل أهمها هذا التراجع الذي سجلته المرأة الحرة أمام الجارية ليس على مستوى الأسرة فحسب حيث أصبح الرجال كما لاحظ الدكتور شوقي ضيف ((يفضلونهن بعامة على الحرائر)) [5]، بل في حياة المجتمع بجميع مجالاتها غير أن ذلك لم يؤد بالجاحظ إلى إهمال حرائر عصره، كما يفهم من قول الباحثة السابقة فنظرة سريعة في كتاب "البخلاء" تعطينا صورة حقيقية عما كان يكنه أبو عثمان لهذه الفئة من نساء مجتمعه، وبخاصة نساء المعتزلة كما سنوضحه في مقام آخر.

أما "الإشارة إلى بعض حرائر عصره عرضا" فهي الأداة المفضلة لديه في معالجة موضوعات كثيرة، وبخاصة عندما يلح على تلك الأداة ويكثر منها. فهو مثلا لم يخص المرأة العربية القديمة –قبل العصر العباسي– بدراسة خاصة على الرغم من آيات الإكبار والاحترام التي تبرز من المادة الغزيرة التي خصها في كتاباته والتي هي في شكل إشارات وملاحظات وأخبار مقتضية.

دواعي الاهتمام بالجواري في كتابات الجاحظ.

إذا كان أبو عثمان للقيان رسالة من رسائله العديدة فإن ذلك يعود –حسب اعتقادنا– إلى ما بلغته هذه الفئة من نساء عصره من مكانة مرموقة وما لعبته من أدوار في الحياة الأدبية والفنية وفي صقل الذوق العام يقول الأستاذ أحمد أمين:"نشر هؤلاء الجواري نوعا من الثقافة كان لابد منه في مثل مدنية العباسيين وهو لابد منه في كل مدنية وأعني بذلك الفنون الجملية وما يتبعها من رقي في الذوق الفني"[6].

والجارية القينة لم تكن وحدها المسيطرة على حياة المجتمع العباسي في مجال ما (مجال الفنون الذوق العام) بل نجد القينة تشاركها هذه السيطرة وتحتل بدورها مكانة مرموقة في والذوق العام بل نجد الجارية غير القينة تشاركها هذه السيطرة وتحتل بدورها مكانة مرموقة في مجتمعها ولعل فئة أمهات الأولاد خير نموذج يمثل سيطرة الجواري على حياة الناس في المجتمع العباسي انطلاقا من البلاط وصولا إلى أدنى المستويات الاجتماعية بالحواري والأزقة والأسواق.

وبخاصة إذا أخذنا في تقديرنا عنصرا هاما أتاح لهذا النوع من الجواري نفوذا كبيرا في حياة الدولة والناس على سواء ونقصد به إنجاب أمهات الأولاد أغلب خلفاء بني العباس، كما تقرر ذلك الباحثة الدكتورة رمزية الأطرقجي، حيث تقول:"وكان كثير من الخلفاء العباسيين من أمهات أولاد"[7].

كان من الطبيعي والحال هذه أن تتبوأ الجارية التي أصبحت أم ولد الخليفة في كل الأحوال، وأم ولي عهده أو أولياء عهده في أغلبها، وأم الخليفة في بعضها كان من الطبيعي إذن أن تتبوأ هذه الجارية مكانة الصدارة في البلاط. يقول الجاحظ في هذه المعنى:"ثم لم يزل للملوك والأشراف إنما يختلفن في الحوائج ويدخلن في الدواوين"[8].

وقد برزت في هذه المجال الخيزران، حيث كانت أول أم ولد تصل إلى هذه المكانة في البلاط زوجها محمد المهدي ثم دولة ابنيها: موسى الهادي وهارون الرشيد. فلم تمض فترة طويلة على اعتلاء زوجها عرش الخلافة العباسية حتى أصبح سلطان على البلاط بحجابه والعاملين فيه وندماء صاحبه، تقرب منهم من تشاء وتبعد من تشاء[9]، وأصبحت تجلس للناس وتفد عليها الوفود وينتظر أصحاب المظالم على بابها، وهو ما توضحه هذه الصورة التي رسمها أبو عثمان لدورها في تصريف شؤون الدولة قال:"ووقف الهيثم بن مطهر الفأقاء على ظهر دابته على باب الخيزران... فلما طال وقوفه بعث إليه عمر الكلواذي فقال له: انزل عن ظهر دابتك..." [10].

ولم تكتف المرأة الجارية بهذا القدر من النفوذ إذا تجاوزته إلى مجالات أخرى كثر نشاطها فيه، وأمسكت بزمام الأمور في مجال الفن والآداب فكانت الأدبية والشاعرة، وكانت الفنانة[11].

يقول الدكتور شوقي ضيف عن دورها في المجال الأدبي:"وكانت كثيرات منهن يثقفن بفنون الآداب...بل كان منهن من يتقن نظم الشعر"[12].

وإذا كانت هذه حال المرأة الجارية في المجتمع العباسي فماذا عن المرأة العربية الحرة، فهل غابت عن أحداث العصر وحياة المجتمع، وهل استسلمت لهذا الواقع الذي لم يعد لها دور فعال في صنعه؟.

الصراع بين الحرائر والجواري.

لم يكن الأمر بسيطا بهذا الشكل فالصراع بين الحرائر بدأ قبل العصر العباسي بزمن غير قليل، وتحديدا منذ وفود أسيرات المجاهدين الفاتحين على حواضر الدولة الإسلامية وبخاصة شريفات

فارس وبيزنطة ومصر وأفريقية وبنات ملوك أممها وشعوبها، اللائى نفذن في زمن قصير إلى قلوب سادة المجتمع العربي وأشرفهم ولم يمض القرن الأول للهجرة حتى نجد أحد خلفاء بني أمية وفتيانهم الماجنين يرمي بملكه ودولته وبكل ماله قيمة ووزن في حياته وراءه، ويتفرغ للتمتع بإحدى جواريه، فقد تلف عقل يزيد بن عبد المالك، وضاع رشده من كلفه بحبابة، شيئا[13].

ولما انتقلت الدولة إلى الأسرة العباسية ظهرت عوامل جديدة من شأنها أن تغلب كفة الجواري وبخاصة الفارسيات منهن، تدفع بالحرائر إلى مواقع خلفية لم تمكنهن من المقاومة والمنافسة غير أن قوة الشخصية لدى بعض الحرائر في تلك الفترة وصلابة إرادتهن سمحت لبعضهن بالحفاظ على مكانة الصدارة في الأسرة والمجتمع تقودهن في ذلك بعض حرائر البلاط اللائى بقين سيدات قصورهن يراقبن الأمور عن كثب ويسعين إلى دفع خطر الجواري بكل ما أتيح لهن من قوة ونفوذ داخل القصر وخارجه وقد تسعى بعض منهن إلى التحصين بوثائق تضمن لهن دفع خطر الجواري وقد تتعداه إلى منع كل ما يكدر صفو العيش ويسمم جو الأسرة لتضمن بذلك التمتع بالاستقرار الأسري من جهة والفوز بولاية العهد لولدها ومن ثمة استمرار الخلافة في نسلها من جهة أخرى.

كما نجده في هذه الصورة المعبرة التي نقلها أبو عثمان عن إحدى سيدات البلاط العباسي ذات شخصية قوية وإرادة صلبة، من اللائى لا يثنيهن شيء عن الوصول إلى مقاصدهن وتحقيق أهدافهن يقول الجاحظ في هذا المعنى:"قال علي بن محمد بن سليمان: أبي يقول: كان المنصور شرط الأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى، وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته، وأشهدت عليه بذلك فبقي مدة عشر سنين في سلطانه يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز والعراق، وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزويج، وابتياع السراري فكانت أم موسى إذا علمت مكانه بادرته، وأرسلت إليه بمال فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفته، حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد" [14].

انظر إلى إرادة هذه السيدة الشريفة، وإلى عزيمتها الفولاذية، فهي تحرص كله على صيانة أسرتها، وتسعى كله للحفاظ على زوجها لها ولأبنائها، ولا تقبل ضرة تكدر صفو عيشها ولا ترضى بسرية تزعجها وتلهي زوجها عنها.

إنه موقف من تعدد الزوجات فريد، سباق إلى التحرير والشعور بالذات، استطاعت هذه السيدة الشريفة أن تضمن من خلاله التمتع بحياتها الزوجية الكاملة إن هذا الموقف الذي نال إعجاب أبي عثمان بما فيه من قوة الشخصية وصلابة الإرادة يعطينا صورة على عزم الحرة الزوج من اجل درء

الخطر من أي فئة كانت وما يزيد من الإعجاب بموقف هذه الحرة أنه حدث مع رجل صلب جبار مثل المنصور ولم يكن ذلك –من غير شك– بالأمر الهين.

إن خطر الجواري دفع بهذه العربية الشريفة إلى السعي الفعال واللجوء إلى العهود والمواثيق من أجل استقرار الأسرة ودفع خطر السريات والضرات على السواء.

وتمضي الأيام بالمجتمع العباسي ويتطور الصراع سريعا، وشيئا فشيئا تبدأ كفة الجواري في الرجحان بقصور الخلفاء والسراة، ولم يمض زمن طويل على عهد المنصور وأم موسى الحمرية زوجة حتى تسيطر الجارية أم الولد على حياة البلاط أو لا ثم حياة المجتمع عامة.

وفي خضم ذلك الصراع وفي ظل هذه السيطرة كانت نجوم شخصيات نسائية من حرائر المجتمع العباسي تلمع في سماء ذلك العصر، ويسارع أبو عثمان إلى تسجيل صور لهن من خلال كتاباته الخالدة كما رأيناه يفعل مع النموذج السابق.

والسيدة الحرة التي نالت اكبر الإعجاب منه من بين سيدات البلاط العباسي تبقى من دون شك زبيدة أم جعفر التي لم تكتف بخوض غمار ذلك الصراع العنيف بين حرائر العصر وجواريه بل تجاوزت ذلك إلى قيادة فريق الجزائر في ذلك الصراع، ثم إلى إفتكاك زعامة الفريق العربي في حربه الضروس ضد فريق الأعاجم الملتف والمتكتل حول أيديولوجية الشعوبية بقيادة أسر أعجمية ذات إمكانات عظيمة والمتمتعة بنفوذ واسع مثل أسرة البرامكة وأسرة بني سهل وأسرة آل طاهر[15].

واختيار أبي عثمان أم جعفر كنموذج للمرأة العربية الشريفة، من الطبقة الأرستقراطية، التي تشارك في حياة الدولة بإسهاماتها في توجيه سياستها وصنع القرار فيها، لم يأت صدفة ولم يكن صورة نشاز في عالم الدراسة الأدبية والحضارية فقد سجل كثير من القدامى والمحدثين ما قامت هذه السيدة الهاشمية من جهود من أجل تنمية مجتمعها وتطويره وما أسهمت به من أنشطة في مجالات الحياة جميعا.

1– دور السيدة أم جعفر في الحياة الاجتماعية:

نسجل لها في الميدان الاجتماعي كثيرا من الإضافات والإبداعات نقلها إلينا العديد من العلماء والباحثين، فالمسعودي يذكر في مروجه أنها لعبت دورا كبيرا على مسرح الحياة الاجتماعية بالأساليب التي أحدثتها واتبعها فيها الناس[16].

وتقول الباحثة قدرية حسين عن دور أم جعفر في الحياة الاجتماعية وأثرها في عصرها: "أما أثرها في عصرها فظاهر جلي، فقد كانت قطب رحى الظرف والمبتدعة لأنواع كثيرة من ضروب الزينة حتى لقد يمكن وضعها في الصفوف كبار أهل الفن العاملين على إحيائه وإنمائه في ذلك العصر"[17].

وتفصل الباحثة رمزية الاطرقجي القول على ضروب الزينة التي أحدثتها أم جعفر ونافستها بعض أميرات البلاط العباسي وشهيرات المجتمع، فتقول:"...كما اهتمت السيدة زبيدة بأناقتها حتى كان ثوبها من الوشي الرفيع يزيد على خمسين ألف دينار، كما كانت ترصع خفها بالجواهر وكانت تنتعل حذاء مزينا بالأحجار الكريمة، وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والابنوص والصندل، وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق وتشبه النساء بسائر أفعالهن بأم جعفر" [18].

وعن تنافس أميرات البلاط العباسي في هذا المجال تقول الباحثة نفسها:"وتنافست عليه بنت المهدي والسيدة زبيدة زوجة الرشيد حيل تطوير الأزياء النسائية، فابتكرت زبيدة اتخاذ المناطق والنعال المرصعة بالجواهر"[19].

أما عن دورها الحضاري في علمية البناء والتعمير التي شهدها مجتمعها وعن تشجيع العلم والأدب والفن فإن الباحثين الذين اهتموا بهذا الجانب يحدثوننا عن أنشطة كانت إضافة حقيقية إلى صرح الحضارة العباسية، تقول الباحثة قدرية حسين:"أنشأت كثيرا من المدارس والمستشفيات وأمرت بتأسيس الملاجئ وحفر الآبار والعيون فكنت ترى أثرها في كل مرافق البر التي رفعت من صيتها في الآفاق"[20].

أما الدكتور مصطفى جواد فإنه يسجل لها أعمالها الجليلة في طريق حجها رفقة زوجها الرشيد، حيث يقول:"وقد أثرت زبيدة في مكة المكرمة آثارا جميلة ومآثر خالدة، فإنها أجرت الماء إلى مكة عشرة أميال، بحفر الجبال ونحت الصخور، حتى وصل الماء إلى الحرم وأسقى أهل مكة بعد وإن كانت الرواية وهي القربة تباع عندهم بدينار...ولها آثار جليلة عملتها في المدينة"[21].

وأبو عثمان الذي لم يكن يفوته شيء ذو بال من حياة مجتمعه والذي كان عدسة دائمة التفتح تلتقط كل صغيرة وكبيرة من شأنها أن تضاف إلى مجال من مجالات الحياة في المجتمع، لم يهمل دور هذه السيدة الهاشمية الاجتماعي والحضاري وكان ما لفت نظره أهم ،حيث أعطانا مدلولا عن اهتمامات هذه المرأة في مجالات الزينة والترف والطرف، وفي الوقت نفسه ينطوي على تجربة

علمية كأهم ما تكون التجارب في عالم البحث عن كل جديد من شأنه يسهم في تطوير الحياة الإنسانية. وفي هذا المعنى يحدثنا أبو عثمان عن مسعى السيدة زبيدة قادها إلى التربية أنواع من الأسماك في حوض جعلته للزينة والمتعة وكان له نتائج في العالم المقاومة لظروف بيئية غريبة من جهة، وفي قضية التلاقح والتوالد بين الأنواع المختلفة من فصيلة حيوانية واحدة.

جاء في حديثه:"وزعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور حصرت في حوض لها ضخم أو بركة كبيرة عددا كثيرا من الزجر والبني، أنها لم تجمع بهما غيرهما، فمات أكثره، وبقيت بقية كانت الصميم في القوة في احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض حينا ثم إنها حملت بالشبابيط"[22].

وإذا كان أبو عثمان استوقفته التجربة من الناحية العلمية فتناولها ليثبت حقيقة تتعلق بنتاج تلاقح نوعين مختلفين من الأسماك وكيف أنه أعطى نوعا ثالثا فإن السيدة زبيدة لم يكن في ذهنها –وهي مقبلة على وضع السمك في حوضها– مثل هذه الأمور التي لا يشتغل بها إلا العلماء دوي الخبرة في ميدان التجارب العلمية في مجال الأحياء والتلقيح وغيره، وأكبر ظننا أن أم جعفر إنما فعلت ذلك طلبا للترف والمتعة.

غير أن شكنا في صنع هذه الملكة الهاشمية للتجارب العلمية، لاينفي عنها الذكاء الحاد وبعد النظر واعتمادها على الممارسة من أجل الوصول إلى غرضها أو تطوير أمر من الأمور التي تهمها، نزعم هذا لأن ما قاله أبو عثمان عن سيرتها في هذا المجال يجعلنا نقف على أنشطتها المختلفة وممارستها طلبا للتطور والتقدم في شتى مجالات الحياة يحدثنا أبو عثمان عن صنيعها في ميدان الملاحة وقيادة السفن فيقول:"وقد علمتم أن أول شأن الجمازات أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا في سير النجيبة التي كانت عليها، وخافت فوت الرشيد فلما حركت مشت ضروبا من المشي، وصنوفا من السير فجزمت في خلال ذلك ووافقت امرأة تحسن الاختيار وتفهم الأمور فوجدت لذلك الجمز راحة ومع الراحة لذة، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة فمازالوا يقربون يبعدون، ويخطئون ويصيبون وهي في كل ذلك تصوّبهم وتخطئهم على قدر ما عرفت، حتى شدوا من معرفة ذلك ما شدوا ثم إنها فرغتهم لإتمام ذلك حتى استوى"[23].

فالجاحظ من خلال هذا الخبر يحرص على رسم صورة يبرز من خلالها مدى تفوق هذه المرأة في مجالات المعرفة التي تقوم على التجربة والممارسة يتضح ذلك من خلال إلحاحه على الألفاظ المعبرة عن معرفة المحصلة بواسطة التجربة والممارسة أولا، ثم على سداد الرأي وحسن التدبير، وهي أمور لا تتحقق إلا لمن رزق عقلا راجحا، وذكاء حادا وشخصية قوية ذات مواهب قيادية

نلمس هذا في قوله:"تحسن الاختيار وتفهم الأمور"، وقوله:"في كل ذلك تصوّبهم وتخطّئهم على قدر ما عرفت"، فهي لم تكن حسنة الاختيار وتفهم الأمور فحسب، بل إن درايتها بأمور السفن وأحوال الملاحة وقواعدها، وشخصيتها القوية تجعلانها في موقف يسمح لها بتصويب ما اختل وإصلاح ما فسد، حتى تصل إلى الأسلوب الأمثل في سير السفينة.

ورجاحة عقلها مع سداد رأيها أمر لاحظه كثير ممن اهتم بهذه الشخصية العباسية، فالدكتورة واجدة الأطرقجي مثلا تقول عنها: "كانت سيدة جليلة ذات يد طولى في الحضارة والأدب وكانت من ذوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة"[24].

2 – دور السيدة أم جعفر في الحياة السياسية:

كثير من الباحثين في حضارة بني العباس في تاريخهم السياسي والاجتماعي يتفقون على أن السيدة أم جعفر لعبت دورا سياسيا أكيدا في الأحداث الجسام التي عاشها المجتمع العباسي في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري. نزعم هذا على الرغم من احتمال قيامها بدور ما قبل هذا التاريخ لسببين على الأقل:

الأول: أن زوجها وابن عمها –هارون الرشيد– اعتلى عرش الخلافة سنة **170**هـ، ومن الطبيعي أن تلعب –منذ هذا التاريخ على أقل تقدير– دورا ولو محدودا في سير الأحداث السياسية، وذلك بسب تواجد سيدة أخرى قوية بالبلاط العباسي هي أم الخليفة الخيزران، والتي اعتادت أن تباشر أمور السياسة في دولة زوجها المهدي وزمن ابنها الأول موسى الهادي –كما مر بنا من قبل– هذه واحدة والثانية فإن الرشيد نفسه يعترف بتدخل والدته في أجل الأمور وأعظمها مثل توليه كبار الحكام في الدولة، روى الطبري خبرا في هذا المعنى، جاء فيه: "ودعا الفضل بن الربيع، فقال له:في الدولة، روى الطبري خبرا في هذا المعنى، جاء فيه" ودعا الفضل بن الربيع، فقال له الحق: المهدي –وكان لا يحلف بها إلا إذا اجتهدا– إني لأهم لك من الليل بالشيء من التوليه وغيرها، فتمنعني أمي فأطيع أمرها"[25].

وتسجل الباحثة الدكتورة رمزية الأطرقجي الأمر نفسه مع إدخال أم جعفر طرفا في القضية، حيث تقول:"فقد كان الرشيد يميل كثيرا إلى توليه الفضل بن الربيع –وهو عربي– بعض الأمور الدولة وكانت السيدة زبيدة زوجة الرشيد تؤيده في ذلك، بينما كانت الخيزران أم الرشيد تحول دون ذلك"[26].

كما تسجل الباحثة نفسها ملاحظة على جانب كبير من الأهمية، وهي تراجع دور أم جعفر ومنزلتها في البلاط العباسي في حياة الخيزران، حيث أنها لم تصبح سيدة القصر إلا بعد وفاة حماتها[27].

والثاني: أن هذه السيدة الهاشمية بحكم نسبها (حفيدة المنصور وزوج ولي العهد قبل سنة **170**هـ) كان في مقدورها كأميرة هاشمية في البلاط، أن تتدخل في حياة الدولة، ولو من وراء ستار أو بمعنى آخر ولو بطريق غير مباشر.

هذا من حيث الفترة التي أثرت أثناءها في حياة الدولة، أما من حيث التأثير نفسه فهذا أمر مفروغ منه إذ يكاد يحظى بإجماع الدارسين فبالإضافة إلى الشهادات السابقة، نستطيع أن نستأنس في هذا الصدد بشهادات جمع من العلماء الباحثين. منهم الدكتور مصطفى جواد الذي يجعلها تلعب دروا في حدث خطير عاشته الدولة العباسية ونعني به الفتنة بين الأمين وأخيه المأمون حيث يقول متحدثا عن الأول:"فافتتح بالغدر، وخلع أخاه المأمون من ولاية العهد وكان لأمه زبيدة يد في هذه الحركة المشؤومة"[28].

كما ينسب إليها الباحث نفسه أيادي في نكبة البرامكة، يقول متحدث عن مقتل جعفر بن يحي:"وكانت أحد من حرض الرشيد على إهلاكه"[29].

وتمضي الباحثة قدرية حسين على النهج نفسه فتقول:"وكانت زبيدة من أهم الأيدي العاملة في حياكة وتدبير النكبة المفجعة"[30].

أما الدكتورة رمزية الأطرقجي فإنها تنقل عن المسعودي رأيه في عمل السيدة أم جعفر على تحريض الرشيد كي ينكب البرامكة وتنكل بهم، لما أدركته من استفحال أمرهم وخطورة ذلك عليها وعلى ابنها وفريقها العربي في البلاط والدولة جميعا، فتقول الباحثة في هذا الصدد:"فقد أدركت استفحال أمر البرامكة وكانت من المحرضين على نكبتهم"[31].

وهذا الإجماع المسجل حول إسهامها في نكبة البرامكة لايخرج عنه إلا ابن عبد ربه في العقد الفريد حيث ينقل إلينا خبرا عن سعي السيدة زبيدة لدى زوجها الرشيد من أجل الإستشفاع للبرامكة بإيعاز من الأمين الذي رق لاستعطاف أخيه في الرضاعة يحي بن جعفر[32].

وأيا كانت صحة ما نقله ابن عبد ربه فإن هذه السيدة قد أسهمت –بشكل أو بآخر– في صنع حدثين خطيرين غيرا كثيرا من مسار الحياة السياسية والحضارية في العصر العباسي، ومن موازين

القوى في الدولة نذهب هذا المذهب لما نجده بين أيدينا من الدلائل على ذلك، ولأنه يتفق وطبيعة الأمور في البلاط العباسي بعامة وفي الحياة أم جعفر بخاصة.

غير أن ذلك لم يثر أبا عثمان ولم يدفعه إلى الخوض في ذلك الأمر بشكل موسع، وكأنه حريص على أن يظهر بمظهر حيادي ومن ثمة نجده يذكر البرامكة –على الرغم من الخصومة المذهبية بينه وبينهم– بخير في مواطن عديدة وبخاصة عندما يكون الأمر متعلقا بالبلاغة والبيان[33].

أما الفتنة بين الأخوين الخصمين فإن هواه المذهبي كان –من دون شك– مع المأمون الذي، عمل على تقريبه وإدخاله البلاط مع كبار رجالات المعتزلة، وبخاصة منظرهم في البلاط ثمامة بن أشرس[34]، من ثم كان لا يذكر محمد الأمين إلا ويقرن اسمه بكلمة "المخلوع"، بل إن هذا اللقب هو الذي عرف به الأمين في كتابات أبي عثمان ومع كل هذا لم يشأ أن يخوض –على غرار ما فعله في نكبة البرامكة– في الفتنة وأسبابها وأطرافها وملابساتها، وكأنه كان في موقف حرج بين انهزام الفريق العربي في الدولة بقيادة أم جعفر وابنها، ووزيره العربي الفضل بن الربيع وبين انتصار شريكه في فكر الاعتزال ولكن بمعية كبار الأعاجم الذين يشكلون الفريق المعادي للعرب والذي عرف في الدراسات التاريخية والاجتماعية والأدبية باسم "الشعوبية" التي حاربها أبو عثمان بكل ما أوتي من قوة، وبكل ما أتاحه له قلمه[35]، وبخاصة بعدما تعرض له من دسائس رجالاتها في ديوان الرسائل[36].

وإن كان أبو عثمان لم يشأ الخوض في المحدثين السابقين، وإن كان رفض إقامة جدل حول دور أم جعفر فيهما، فإنه في المقابل قدم صورة عن نشاطها في البلاط والدولة والمجتمع من خلال إشارة عارضة وردت في كتابه البيان والتبيين، حيث قال:"كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج، كاتب داود بن محمد، كاتب أم جعفر"[37].

فهي لم تتخذ كاتبا خاصا فحسب كما كانت تفعل سيدات البلاط، بل كان لكاتبها كتاب يختلفون في الحوائج ومساعدون يساعدونه في المهام التي تسندها إليه سيدته وفي هذا إشارة ضمنية إلى دورها البارز في الدولة والمجتمع معا، الذي يستدعي منها الاستعانة بمساعدين وموظفين يخففون عنها الأعباء، ويتصرفون في حوائجها المختلفة، وبخاصة أنها كانت تملك ثروة هائلة تضم ضيعات وإقطاعات تتطلب العناية والرعاية وهو أمر لا يتحقق إلا بجيوش من القيمين

والموظفين وهذه تعد شهادة على المكانة التي كانت تحتلها هذه الهاشمية الشريفة في حياة الدولة والمجتمع.

3 – السيدة أم جعفر ودورها في الحياة الأدبية:

لم تقتصر اهتمامات هذه السيدة الشريفة على المجالات الاجتماعية والسياسية، بل امتدت إلى مجال أنبل وأعظم هو ميدان الفن والأدب، فقد أثر عنها نشاط أدبي وافر كمتذوقة لفن الشعر أولا ثم كمبدعة له، عارفة بأسراره وقواعده ثانيا، وكمالكة لنواصي البلاغة والبيان في فن النثر ثالثا.

ومن الشواهد على نبوغها في المجال الأدبي هذه الصورة التي قدمها أبو عثمان عن براعتها في فن لم ينبغ فيه إلا جهابذة البلاغة والبيان من الخلفاء والوزراء وكبار الكتاب، ونعني به فن التوقيعات، الذي شهد بتفوقها في رؤوس الكتابة الفنية في العصر العباسي، يقول الجاحظ في هذا الصدد: "وخبرني جعفر بن سعيد، رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه، قال: ذكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحي، فقال: قد قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا، وأجمع للمعاني"[38].

إن قول عمرو بن مسعدة –أحد أكبر الكتاب في العصر العباسي قاطبة– يحمل أكثر من دلالة. فهو صادر عن شخصية أدبية تحظى أحكامها وآراؤها باحترام المهتمين بمجال الأدب وتقديره، ومن ثم فهو بمثابة إجازة علمية تضاهي أعلى الشهادات التي تمنحها الهيئات العلمية في عصرنا وكونه أعطاها التقدم والتفوق على شخصية عرفت بطول الباع في البلاغة، وبعد الصيت في عالم الأدب والبيان كجعفر بن يحي، يجعل منها رأسا من رؤوس الحياة الأدبية في عصرها فالرجل كان عظيما في أعين علماء عصره، ليس بسلطانه أيام الرشيد قبل مقتله ونكبة أسرته فحسب، وإنما بصفاته وخصاله البيانية، وتفوقه في ميدان البلاغة والفصاحة. نقل الجاحظ عن ثمامة بن أشرس أنه قال: "كان جعفر بن يحي أنطق الناس، وقد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وإفهاما يغنيه عن الإعادة"[39].

ثم إن عقد المفاضلة بينها وبين جعفر بن يحي في فن التوقيعات بالذات، الذي تقدم فيه حتى الأقران، وتقدم على الأعلام، لدليل على إمكاناتها وخبرتها في هذا المجال فجعفر بن يحي شهد له علماء البيان والبلاغة بالمكانة الرفيعة في هذا الفن، والخبرة الواسعة فيه، مما جعل توقيعاته محل التنافس بين البلغاء، ومرجعا يرجع إليه طلاب هذا الفن يتعلمون منه أساليبه و قواعده نقل ابن خلدون صورة عن ذلك فقال: "قد كان جعفر بن يحي يوقع في القصص بين يدي الرشيد، ويرمي بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار"[40].

وأخيرا فإن عمرو بن مسعدة نص على وجه التفوق، ونقطة الفصل التي جعلت أم جعفر أعظم في عينه وتوقيعاتها أجود، والتي تتمثل في الإيجاز وهو أمر طلبه جعفر بن يحي نفسه بل تجاوز ذلك حتى أوصى بالالتزام به، فقد نقل صاحب كتاب الصناعتين له قولا في هذا المعنى، قال: "وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتابه: إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا"[41]، فهو مدرك لأهمية الإيجاز عند البلغاء العرب وقيمته في تحديد مكانة الكاتب أو الخطيب، وهو في ذلك إنما يصدر عن مفهوم راسخ لدى علماء البلاغة والبيان، بعد إخراجه وتطويره وصقله على أيدي القدماء فقد سأل معاوية بن أبي سفيان صحار العبدي[42] عن مفهوم البلاغة عند العرب فقال:"ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال:الإيجاز"[43].

وينقل الجاحظ عن ابن الأعرابي أن المفضل الضبي سأل أعرابيا:"ما البلاغة؟ قال:الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل"[44].

وكان بعض علماء الأمة وأخيارها يرى في الإسهاب أمرا قبيحا يستعيذ بالله منه فقد نقل أبو عثمان خبرا عن ابن الأعرابي في هذا المعنى، جاء فيه:"قال ابن الأعرابي قيل لعبد الله بن عمر:لو دعوت الله لنا بدعوات قال:اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقال له الرجل:لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن فقال:نعوذ بالله من الإسهاب"[45].

وتفوق السيدة أم جعفر في هذا الفن النثري الرفيع إنما هو تعبير عن طول باعها في فصاحة القول وبلاغة القلم والنصوص القليلة التي وصلتنا عنها أكبر الدلائل على ذلك فقد نقل لها الطبري وصية أوصت بها قائد الجيوش ابنها عند خروجه إلى القتال جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين تعد غاية في فصاحة القول، وآية في جمال الإبداع. قال الطبري في حديثه عن علي بن عيسى بن ماهان عند توجهه نحو خراسان لقتال جيوش المأمون:"لما أراد الشخوص إلى خراسان

ركب إلى باب أم جعفر فودعها، فقالت:يا علي، إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي، إليه تناهت شفقتي، وعليه تكامل حذري، فإني على عبد الله منعطفة مشفقة، لما يحدث عليه من مكروه وأذى، وإنما ابني ملك نافس أخاه في سلطانه، وغاره على ما في يده، والكريم يأكل لحمه ويمنعه غيره، فاعرف لعبد الله حق والده وأخواته، ولا تجبه بالكلام، فإنك لست نظيره، ولاتقتصره اقتصار العبيد، ولا ترهقه بقيد ولا غل، ولا تمنع منه جارية ولا خادم، ولا تعنف عليه في السير، وتساويه في المسير، ولا تركب قبله، ولا تستقل على دابتك حتى تأخذ بركابه، وإن شتمك فاحتمل منه وإن سفه عليك فلا ترده"[46].

إن هذه الوصية تعد بحق من أبدع ما نقلته كتب التراث في هذا الفن، ليس فيها من جمال فني وفرة إيجازها وتركيزها على المعاني المطلوبة وعذوبة ألفاظها وتنغيم موسيقاها فحسب، ولكن لما تنطوي عليه هذه الوصية من علو همة صاحبتها وكرم خلقها ورقة مشاعرها فهي لا تريد لخصم ابنها أن يذل، أو يهان، ولا ترضى لمكانته أن تنحط، فهو فوق قائد جيوش ابنها منزلة وشرفا، لأن له أبوة يجب أن تصان وأخوة يجب أن تحفظ، ليس هو ابن زوجها ثم أليس هو أخو ابنها؟ إن الخلاف الذي بين ابنها وأخيه لا يبيح قطع رحم هذا الخصم القريب فما هذا الخلاف إلا تنازع على الملك بين أخوين سليلي الأسرة الهاشمية الشريفة، وأيا كانت نتائجه فإنه يجب أن يحفظ لكل طرف مقامه ولا يدنس نسبه، يستوي في الأمر -عندها- الغالب والمغلوب من ثم تبقى أم جعفر في هذه الوصية الهاشمية تسعى إلى حفظ كرامة هاشمي قريب إليها وصلة رحمه وصون عرضه لأن ذلك من كرامتها وعرضها، حتى ولو كان هذا الهاشمي أخ ابنها وخصمه في الوقت نفسه.

فهذه هي السيدة زبيدة الأديبة المبدعة عند القدامى فكيف هي في أحكام المحدثين؟

إن مكانتها عند هؤلاء لا تقل عنها عند أولئك، فقد أجمعوا على تقدمها وتنوع إبداعاتها في المجال الأدبي، التي جمعت فيه بين المنظوم والمنثور تقول عنها الباحثة الدكتورة واجدة الأطرقجي: "وكانت من ذوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة، لها شعر الرسائل ووصايا وتوقيعات تدل على ذلك"[47]، وتقول الباحثة نفسها عن رسائلها:"وممن عرف بالرسائل البليغة السيدة زبيدة...ولم يصلنا للأسف الشديد من رسائلها إلا القليل إلا أن القليل الذي بين أيدينا يوقفنا على قوة بيانها وفصاحة لسانها، وتمكنها من القول"[48].

أما الباحثة الدكتورة رمزية الأطرقجي فإنها تسجل لها شهادة في هذا المعنى جاء فيها:"وكانت زبيدة شاعرة مثقفة، وكانت رسائلها إلى زوجها تحفل بأبيات عديدة من الشعر"[49].

أما الدكتور مصطفى جواد فإنه يسجل لها شهادة أخرى في هذا الميدان وذلك حيث يقول: "وكان لزبيدة شعر جيد منه قولها في فقدان ابنها الأمين:

لما رأيت المنايا قصدن له أصبن منه سواد القلب والرأسا
فبت متكئا أرعى النجوم له أخال سنة في الليل قرطاسا
رزئته حين باهيت الرجال به وقد بنيت به للدهر أساسا
فليس من مات مردودا لنا أبدا حتى يرد علينا قبله ناسا"[50]

هذه إذن شهادات من الباحثين محدثين تجمع كلها على براعة هذه السيدة في النظم، وبلاغتها في القول وإجادتها في الكتابة مما يجعلها بحق إحدى الشخصيات الأدبية الجديرة بجهود العلماء والباحثين في ميدان الدراسة الأدبية.

ونبوغها هذا كان وليد ظروف بيئية وذاتية تضافرت جميعا لتصنع هذه الشخصية الفذة فمن حيث النشأة والثقافة يسجل الدارسون الرعاية التي أحيطت بها كأميرة في البلاط العباسي تقول الباحثة قدرية حسين في هذا الصدد:"وقد قام جدها بتربيتها فأحسن أدبها، وعلمها القراءة والكتابة رواها الشعر وحفظها الأخبار والسير، فشبت كلفة بالشعر والهة بالأدب حتى كانت تزين حوائط غرفتها بالستائر الموشاة بالنظم البديع والأبيات الرقيقة"[51].

أما إجادتها فنون الأدب شعرا ونثرا وإبداعاتها فها، فهو أمر قدمنا من الشهادات عليه ما نراه شافيا، وأما "كلفها بالشعر وولهها بالأدب" فإن له مظاهر أخرى، منها تشجيعات أهل العلم والأدب والإغداق عليهم بما يناسب منزلتها في البلاط العباسي، ويتفق مع ميولها الأدبية والعلمية من ذلك ما تسجله الدكتورة واجدة الأطرقجي من برها بالعلماء والأدباء، حيث تقول:"كانت معروفة بالخير والأفاضل على أهل العلم والأدب"[52].

ومن النماذج على صنيعها مع شعراء عصرها ممن مدحوا زوجها أو ابنها ما نقله ربه في عقده، عن موقفها من شاعر البلاط العباسي الأكبر مروان بن أبي حفصة والذي سجله من خلال قوله المنقول عن العتبي:"قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة أبياتا ورفعها إلى زبيدة بنت جعفر يمدح ابنها محمدا وفيها يقول:

الله درك يا عقيلة جعفر ماذا ولدت من العلا والسؤدد

إن الخلافة قد تبن نورها للناظرين على جبين محمد
فأمرت أن يملأ فمه درا"[53].

وفي المعنى نفسه أرسلت إلى أبي العتاهية ليقول شعرا على لسانها تبعث به إلى المأمون بعد مقتل ابنها الأمين، ففعل ولما نظر المأمون في الشعر أرسل إليها يسألها القدوم عليه، فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها:من قائل الأبيات؟ قالت:أبو العتاهية، قال: وبكم أمرت له؟ فقالت بعشرين ألف درهم، قال المأمون: وقد أمرنا له بمثل ذلك[54].

كما نقل الحصري في زهر الآداب صورة عن فهمها وتذوقها للشعر، ومعرفتها بأسراره ونوايا أصحابه وطرائقهم، جاء فيها: "أنشد رجل زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور:

أزبيدة ابنة جعفر تعطين من رجليك ما
طوبى لزائر المشاب تعطي الأكف من الرغاب

فوثب إليه الخدم يضربونه، فمنعهتم من ذلك، وقالت أراد خيرا وأخطأ وهو أحب إلينا ممن أراد فأصاب، سمع قولهم: شمالك أندى من يمين غيرك، فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ، أعطوه ما أمل، عرفوه ما جهل"[55].

فهي –كما نرى– بصيرة بطرائق الشعراء ومذاهبهم في النظم العلمية بمعانيهم وصورهم فكان لذلك فهمها لقصد الشاعر دقيقا، ووقوفها على الخطأ في قوله سريعا، فأمرت بإجازته على نيته في مدحها وعرفت خطأه في إحضار المعنى وبناء الصورة.

هكذا كانت هذه السيدة الهاشمية، تشارك في الميادين الحياة جميعا تلعب الأدوار التي تؤهلها إليها مكانتها أولا ثقافتها ثانيا، تنشط في الميادين التي تراها مناسبة لأسرتها ومجتمعها.

وإن لم يكثر أبو عثمان الجاحظ من ذكرها، وإن لم يتوسع في تقديم إسهاماتها في تطور المجتمع العباسي، وصنع الأحداث في عصرها، فإن ما قدمته من صور نشاطاتها المختلفة يعد دعوة للباحثين والعلماء من أجل دراسة سيرتها وإبراز مكانتها في البلاط العباسي بخاصة ومجتمعها بعامة.

والله نسأل أن يكون هذا الجهد لبنة تضاف إلى جهود الباحثين الذين اجتهدوا من أجل نفض الغبار عن شخصية السيدة أم جعفر بما يتفق وتاريخها بالأحداث الهامة.

الهـوامـش

1- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس.ص09، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل، ط دار المعارف، مصر، د.ت.

2- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص.

3- انظر في ذلك الفرافصة لابنته نائلة عندما جهزها إلى عثمان بن عفان -ص- ابن قتيبة، عيون الأخبار 76/2 ط الهيئة العامة للكتاب، مصر.1973، وقارن بالجاحظ، الحيوان 138/5 تحقيق عبد السلام هارون، ط مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2. .1966

4- د.وديعة طه النجم، الجاحظ والحاضرة العباسية. ص 119، مطبعة الإرشاد. بغداد. .1965

5- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول. ص57، دار المعارف د.ت.

6- أحمد أمين، ضحى الإسلام. 92/1ط مكتبة النهضة المصرية، مصر. ط9، .1977

7- د.رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول. ص171، جامعة بغداد. 1982، وقارن بابن عبد ربه، العقد الفريد 113/5-131، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر. .1965

8- أبو عثمان الجاحظ، كتاب القيان، رسائل الجاحظ 156/2، تحقيق. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت.

9- صلاح الدين المنجد، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي. ص7، دار الحياة بيروت. 1957.

10- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين 269/2، تحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة. 1975. ط.4

11-انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام 90/1-.91

12- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول. ص .59

13- ابن عبد ربه، العقد الفريد 61./6

14- أبو عثمان الجاحظ، المحاسن والأضداد. ص137، تحقيق فوزي عطوي، بيروت. .1969

15- د. زهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، ص272. دار الكتاب اللبناني، بيروت. .1972

16- المسعودي، مروج الذهب 244/4، المطبعة البهية. القاهرة .1927

17- قدرية حسين، شهيرات النساء في العالم الإسلامي.ص220. دار الكتاب العربي. بيروت د.ت.

18- د.رمزية الأطرقي، الحياة الاجتماعية في بغداد. ص .251

19- المرجع السابق. ص .254

20- قدرية حسين، شهيرات النساء في العالم الإسلامي. ص .203

21- د. مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي. ص47. دار الفكر للجميع، بيروت د.ت.

22- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان 149/1، تحقيق عبد السلام هارون. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ط2، د.ت.

23- المصدر السابق 1/.83

24- د.واجدة الأطرقجي، المرأة في الأدب العباسي. ص409، دار الرشيد، بغداد .1981

25- أحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري 238/8، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف ط3، د.ت.

26- د.رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد. ص .349

27-المرجع السابق. ص.50

28- د.مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي. ص .48

29- المرجع السابق. ص .49

30- قدرية حسين، شهيرات النساء في العالم الإسلامي. ص .204

31- د.رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد.35 وقارن بمروج الذهب 3/.272

32- ابن عبد ربه العقد الفريد 5/.65

33- انظر مثلا ما نقله عن ثمامة بن أشرس يصف بلاغة جعفر بن يحي، البيان والتبيين 1/.106

34- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين 374/3.وقارن بشارل بلا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء. ص363، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .1985

35- جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، ص 131، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت 1974.

36- شارل بلا الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء. ص360، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني.

37- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين 1/106، تحقيق عبد السلام هارون.

38- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين 1/.106

39- المصدر السابق. ص 1/.105

40- ابن خلدون، المقدمة. ص247، درا إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

41- أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر. ص137، القاهرة د.ت.وقارن بالبيان والتبيين 1/.115

42- هو صحار بن عياش أحد الخطباء المفوهين والعلماء بالأنساب والأخبار، له صحبة.

43- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين 1/.96

44- المصدر السابق. 1/.97

45- المصدر نفسه. 1/.97

46- الطبري، تاريخ الطبري 8/405، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

47- د.رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد. ص .350

48- المرجع السابق. ص .294

49- د. رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد. ص .350

50- د. مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي. ص .50

51- قدرية حسين، شهيرات النساء في العالم الإسلامي. ص .199

52- د. واجدة الأطرقجي، المرأة في أدب العصر العباسي. ص .409

53- ابن عبد ربه العقد الفريد 1/.313

54- المصدر السابق 3/.261

55- إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب 1/349، تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية، مصر. ط3، د.ت.